

اعوذ بالله من الشيطان الغوي اللعين الرجيم  
توكلت على الله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين بسم الله الرحمن الرحيم  
[فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم  
يحذرون](التوبة122)

الانسان عموما يعلم علما اجمالياً وان لم يكن علما تفصيلياً- ان الله تبارك وتعالى لم يخلقه لاجباً من  
الناحيتين، اعني: ليس من ناحية الله في اصل خلقه خلق الانسان عن لعب ولهو، ولا الانسان مخلوق للعب  
واللهو، بمعنى ان يلعب ويلهو وهذه غاية وجوده في دار الدنيا.  
فمن الناحية الاولى: قال تبارك وتعالى(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين\*لو اردنا ان نتخذ لهما  
لاتخذنا من لدنا ان كنا فاعلين\*بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق).  
ولاعبين في الاية الكريمة منصوبة على الحال، يعني لم نخلق ما خلقنا وحالنا للعب، كما تقول جاء محمد  
راكبا اي حال محمد عند المجيء هو الركوب، فلما يخلق الله الخلق وحاله اللهو واللعب.  
ومعنى(لاتخذناه من لدنا) كما يقول الشيخ الطبرسي قدس سره في مجمع البيان: قيل ان الله هو المرأة،  
وقيل هو الولد، وقيل معناه اللهو الذي هو داعي الهوى ونازع الشهوة، والمعنى: لو اتخذنا نساء او ولدا  
لاتخذناه من اهل السماء ولم نتخذ من اهل الارض.

وفي تفسير الاصفى للفيض الكاشاني قدس سره: (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) وانما  
خلقناها تبصرة للانظار وتذكرة لاولي الاعتبار وتسببا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد،(لو  
اردنا ان نتخذ لهما) ما يتلهم به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) قيل من جهة قدرتنا او من عندنا اي بما يليق  
بحضرتنا من الروحانيات لامن الاجسام (ان كنا فاعلين).  
(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) فيمحقه(فاذا هو زاهق) هالك.

ونقول: ومن جملة الحق الذي به يضرب الباطل هو الخلق عن حكمة، ومن جملة الباطل المضروب بالحق  
هو الخلق عن لعب ولهو واعتباط وحاشاه جل شأنه فقد ضرب الحكمة باللهو فمحقه فاذا هو هالك.  
وقيل انها نزلت في مقام الرد على النصارى عندما قالوا على مريم العذراء وعلى ولدها المسيح عليهما  
السلام ما قالوا في انه ابن الله وهي زوج الله جل اسمه فنزلت الاية المباركة (لو اردنا ان نتخذ لهما)  
واللهو هنا بمعنى الجماع ويدعم ذلك ان الوطء لغة يسمى لهما والمرأة محل الوطء فالمرأة من اللهو، فانزل  
الله تعالى الاية الكريمة وقال: (لو اردنا ان نتخذ لهما لاتخذناه من لدنا) يعني من عندنا من حور العين لامن  
عندكم من اهل الارض (ان كنا فاعلين) ولكن لانفعل لانه لا يليق بمقام الربوبية وصفة الحكمة.

ولو كان هذا الخلق ناتجا عن اللعب واللهو لوجدنا فيه خلا واضحا، ولكننا نرى رصانة الوجود وكمالا  
مطلقا وهذه ادلة باهرة على الحكمة المنتجة له، قال تعالى: (سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى  
يتبين لهم انه الحق) فعظيم الصنعة وعجائب المصنوعات كلها ادلة واضحة على الخلق بحكمة متناهية لا  
بلعب لاجب ولكن اكثر الناس لا يعقلون وهم عنها معرضون كما قال تعالى: (وكأين من آية في السماء  
والارض يَمرون عليها وهم معرضون) فلا تكن اخي العزيز من منكري الايات الواضحات والبراهين العاليات  
فكل شيء بالوجود آية بينة تنبئ عن جود الاله الحكيم، وكما قيل في جميل الشعر:

فيا عجباً كيف يعصى الاله  
وفي كل شيء له آية  
ام كيف يجده الجاحد  
تدل على انه الواحد  
وتسكينة في الورى شاهد  
ولله في كل تحريكة

#### الناحية الثانية

ان اثبات كون الخالق خلق عن حكمة ودراية هذا بحد ذاته دليل على ان الموجودات لم تخلق للعبث وبلا  
مسؤوليات، ولكن لمزيد من اليقين ولتثبت لانفسنا ان الانسان لم يُخلق للعب واللهو قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ  
رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ).

قال المفسرون: اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن (وأشهدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ  
بِرَبِّكُمْ) اي ونصب لهم دلائل الربوبية وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار عليها.

وقيل ايضا: ان المعنى ان كل مولود يولد على الفهد الذى أخذ عليه، وفي الحديث: اخرجهم امثال الذر فاخذ عليهم الفهد فكل مولود يولد على ذلك الفهد، وان نسب عبادته الى غير الله عز وجل او وصفه بغير صفته حتى يكون ابواه يعلمانه اليهودية والنصرانية.

محل الشاهد هنا في هذه الاية هو اثبات كون الانسان لم يخلق للعب او للهو، كيف؟ يعني كيف نثبت من هذه الاية سبب خلق الانسان وغاية وجدوه؟

الجواب:

كلنا يعلم ان على العامل مسؤوليات تتعلق برقيته تجاه رب العمل، على الاقل عدم التقصير في اداء العمل والا كان مذنبا بحق رب عمله مستحقاً للعقوبة وخصم جزء من الراتب، هذا اذا لم نتوسع لنقول ان على العامل الابداع بعمله وليس فقط عدم التقصير.

ومن هنا نفهم ان الانسان مادام انه شهد لله بالربوبية اذن اقر على نفسه بمسؤوليات تجاه الرب المشهود له، اما ما هذه المسؤوليات وما هي تفصيلاتها فهذا ما سنعتقد له بحثا مستقلا بالقرب العاجل بمعونة الله تعالى، اما ما يهمننا في هذا البحث امران؛ الاول: ان نفهم من الاية ان على الانسان مسؤوليات تجاه ربه المقرر له، والثاني: كيف نتوصل لتلك المسؤوليات حتى لانقع بمحذور التقصير والعياذ بالله تعالى.

وبصياغة اخرى نقول:

قال تعالى: (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم\*الذى جعل الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم\*فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون).

وقال تعالى: (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة).

واذا رجعنا قليلا الى آية الشهادة وقد اعطى الانسان الاقرار التام وشهد لله بالربوبية وهنا الرب بنفسه يقول اعبدوني، يعني ان وجودكم ليس وجودا اعتباطيا وغاية وجودكم ليست لهوية او من باب اللعب.

ومن ناحية اخرى قال تعالى: (الم\*احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا) فليس مجرد الاقرار والايمان بالربوبية كاف بل لابد من العمل وعدم التقصير بمسؤولياتنا تجاه بارئنا وخالقنا الذى آمنا به وشهدنا له بالربوبية.

لعلك تقول: انا اقررت لله بالربوبية وهذا كافى بحد ذاته.. ولكن هذا غير صحيح لان الرب يقول اعبدوا ربكم وهو يقول احسب الناس ان يقولوا آمنا، فمجرد الاقرار ليس كافى وانما هو مقرون بالعبادة والتمحيص.

ما خلقت الجن والانس

(ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وهذه آية واضحة الدلالة على مرادنا في الناحية الثانية، اعني: ان الوجود ليس للهو واللعب بل لشيء كبير وعظيم وهو العبادة بنص آية الكريمة التى أستعمل فيها اداة الاستثناء (الا) المفيدة للحصر ومن ثم اقرنت بلام العلة لتشديد الاقتصار، فكأما المراد هو ان غاية الخلقة هي العبادة لله تعالى.

وكان بالامكان ذكر هذه الاية مباشرة عند الكلام عن اثبات سبب وجود الانسان ولكنا آثرنا تأخيرها وتقديم الاستدلالات المكتنفة بالمقدمات والنتائج لاجل تدريب الاخوة على فهم الكتاب الشريف وطريقة الربط بين آية وفهم الكنوز المتفرقة بين معانيه، على الاقل البسيطة منها والظاهرية التى لا تحتاج الا لقليل من التأمل والتدبر.

والاسلام

بعد ان ثبت لنا بالبرهان ان الله لم يخلق لاهيا والانسان لم يخلق للهو، وايضا ثبت لزوم العبادة وان مجرد ان يقول الانسان ان الله ربي ليس كافيا سواء في ذلك الاقرار بعالم الذر او عالم الدنيا، فليس من المنطق ان يقول الانسان ان الله ربي وهو لا يصلي او يسمع الاغاني او نحو ذلك لان ذلك مخالف لمعنى الربوبية.

بعدئذ علينا ان نعبد الله من حيث يريد هو لامن حيث تشتهي انفسنا ومن ثم ننصب انفسنا كمقتني طرق العبادة وهذا يجوز وذاك لايجوز، واول طريق العبادة هو الاسلام لان كل فعل يقع خارج دائرة الاسلام فهو

فعل مرفوض خال من محتوى العبادة بلا ريب، فلا نناقش اصلا بصحته وبطلانه او استحقاق الثواب او عدمه.

قال الله تعالى: (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال عز وجل: (ان الدين عند الله الاسلام).

معنى الاسلام

واختلف المفسرون في معنى الاسلام هنا، هل هو التسليم لله تعالى والالتقياد لاوامره واجتناب نواهيه؟ ام هو مقتصر على الدين الاسلامي خاتم الاديان لخاتم الانبياء محمد صلى الله عليه واله وسلم؟ ولكن هل لنا بطرق باب علي عليه السلام لنعرف الاسلام من باب مدينة علم نبي الاسلام صوات الله عليهم اجمعين قال امير المؤمنين عليه السلام: لانسب الاسلام نسبة لانسب احد قبلي ولا ينسبه احد بعدي الا بمثل ذلك: الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو العمل والعمل هو الاداء، ان المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن اتاه من ربه فأخذه.

اذن فالاسلام هو دين الله الذي اشار اليه الله بقوله: (ان الدين عند الله الاسلام) يتوقف حصوله على ستة امور حتى ينتفي بانتفاء واحد منها:

الاول: التسليم وهو بذل العبد نفسه ورضاه بالاحكام الالهية والنواب، والثاني: اليقين بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب، والثالث: التصديق الذي هو الايمان الخالص، والرابع: الاقرار بما يجب الاقرار فيه، والخامس: العمل بالجوارح، والسادس: اداء ما افترض الله تعالى.

ونستخلص من فيض علي عليه السلام في هذه الرواية ان كل انسان يبغض النظر عن دينه- تجتمع فيه هذه الامور الستة فهو مسلم وان لم يدين بدين الخاتم المصطفى صلوات ربي عليه وآله ويدعم ذلك جمع من الايات المباركة، منها: (قال الحواريون نحن انصار الله آمنة بالله واشهد باننا مسلمون) وغيرها كما سيأتي بعون الله.

ولكن . . . لنا هنا وقفة . . . كيف يمكن الالتزام بكون حتى اليهودي والنصراني من المسلمين مع ان من معاني الاسلام الاقرار، فهل اقرؤا بنبوته النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل عملوا جوارحهم ما يريد الله من شريعة ذكرها في القرآن وعلى لسان نبيه؟ نعم هم على مستوى النظرية من المسلمين اذا نالوا الامور الستة ولكن على مستوى لتطبيق فانا لانرى ذلك في عالم الواقع ومن هنا نقول: ان مفسري القرآن وان اختلفوا في تحديد معنى الاسلام الا ان النتيجة المتحصلة واقعا هي واحدة وهي الاقتصار على ما جاء به النبي محمد روي فداه.

وفي هذا المعنى روى القطب الرواندي في فقه القرآن انه لما نزل قوله تعالى: (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) قال اليهود: نحن مسلمون، فانزل الله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً) يأمرهم بالحج ان كانوا صادقين فامتنعوا فقال الله تعالى من ترك من هؤلاء الحج فهو كافر لان ظاهر آية الحج الخبر ولكن معناها الامر والالزم بوجود الحج، وهذا من باب دلالة الامر بصيغة اخرى.

نعم من المسلم عندنا ان الانبياء واتباعهم الذين ساروا على نهجهم وضحوا آنذاك من اجل اعلاء كلمة الله كل هؤلاء من المسلمين بلا ادنى ريب، وفي رواية طويلة للمفضل مع الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال المفضل: قلت سيدي ومولاي والدين الذي في اباك ابراهيم ونوح وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه واله وسلم هو الاسلام؟ فقال عليه السلام: نعم يامفضل هو الاسلام لا غير، فقلت: يامولاي أتجده في كتاب الله؟ فقال عليه السلام: نعم من اوله الى اخره، ومنها هذه الآية: (ان الدين عند الله الاسلام) وقوله تعالى: (ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم مسلمين) ومنه قوله تعالى في قصة ابراهيم واسماعيل: (واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك) وقوله تعالى في قصة فرعون: (حتى اذا دركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) وفي قصة سليمان وبلقيس: (قبل ان يأتوني مسلمين) وقولها: (اسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقول عيسى عليه السلام: (قال الحواريون نحن انصار الله آمنة بالله واشهد باننا مسلمون) وقوله عز وجل: (وله اسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها) وقوله في قصة لوط: (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وقوله: (قولوا آمنة بالله وما انزل

الينا -الى قوله- لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) وقوله: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت  
-الى قوله- ونحن له مسلمون)

وللبحث تنمة

الشيخ

محمد البهادلي

iraqi\_alsalam@hotmail.com